

مايو تفتح ملفات 5 يونيو :

جريدة مايو : 9-3-1981

بقلم : عبد الفتاح الديب

من المسئول عن نكسة يونيو 1967 ؟

دور الإتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط

لماذا أيدت موسكو نشأة إسرائيل ؟

جذور الأطماع السوفيتية فى ليبيا والقرن الأفريقى منذ 1946

ما هو المناخ العام الذى جرت فيه أحداث نكسة 1967 ؟

ما هى مواقف الدول وعلاقتها بمصر فى الفترة التى سبقت الأحداث ؟

أن حدث 5 يونيو 1967 لم يكن حدثا عارضا ولكنه كان حدثا دبر له بأحكام.

وستبدأ " مايو " فى القسم الأول من بحثها التاريخى من نكسة يونيو بعرض موجز لموقف الساحة العالمية والساحة العربية على المستوى السياسى .

وعلى مدى الحلقتين القادمتين ستبدأ " مايو " فى عرض موقف الإتحاد السوفيتى – بحكم تأثيره فى مجرى الأحداث .

ما هو موقف الإتحاد السوفيتى فى الفترة التى سبقت نكسة 1967 ، وفى الفترة التى أدت إلى حدوثها وما هى أهدافه فى منطقة الشرق الأوسط ؟ وكيف لعب دوره فى النكسة التى أحدثت الزلزال فى جيل مصرى بأكمله ؟

لكل دولة كبرى سياسة تكاد تكون ثابتة تتفق ومصالحها . والاتحاد السوفيتي كدولة كبرى له أطماعه فى الشرق الأوسط ، وفق سياسة ثابتة قديمة ، ولا بد أن نعود إلى الوراء قليلا قبل أن نصل إلى دور الاتحاد السوفيتي فى نكسة يونيو عام 1967 .

فى مؤتمر باريس لوزراء خارجية دول العالم فى ربيع عام 1946..

طالب الاتحاد السوفيتي بأن تكون له السيادة على المستعمرات الإيطالية "ليبيا" . كما طالب بأن يحل محل إيطاليا فى ميناء "مصوع" فى إريتريا وجزر "الدوكينز" فى البحر الأبيض المتوسط .
وطالب الاتحاد السوفيتي أيضا بأن تكون له السيطرة على شمال إيران بالإضافة إلى مضائق البسفور والدرنديل .

كان وزير خارجية الاتحاد السوفيتي يتكلم بثقة وقوة : أن الاتحاد السوفيتي خرج من الحرب العالمية الثانية كقوة عظمى تتقاسم مناطق السيادة والنفوذ فى العالم .

ولكن بريطانيا تصدت بقوة لمطامع الاتحاد السوفيتي . ووقفت بجانبها بقية دول الغرب وأكثر من ذلك أدى ظهور الأطماع السوفيتية إلى تحالف كل من إيران وتركيا واليونان مع الغرب عقب أنتهاء مؤتمر باريس مباشرة .

ولعل ما حدث فى مؤتمر باريس عام 1946 يفسر لنا أن وجود الاتحاد السوفيتي الحالى فى ليبيا والقرن الأفريقي كان أمرا مخططا له منذ عام 1946 .. وظل الاتحاد السوفيتي مثابرا على تنفيذ أهدافه محاولا تحقيقها فى السبعينات .

بعد فشل الاتحاد السوفيتي فى تحقيق مطامعه عام 1946 .. لم يحاول أن يؤدي دورا هاما أو إيجابيا فى الشؤون العربية خلال معظم السنوات العشر التالية للحرب العالمية الثانية .

استثناء واحد ولكنه هام حدث خلال هذه السنوات العشر وهو : التأييد السوفيتي القوي لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل ما بين عامي 1947 و 1948 .

والتاريخ هنا يطرح سؤالاً للإجابة عليه :

— ما هو سر انتقال موسكو المفاجئ من العداة الشيوعى التقليدى للصهيونية إلى التأييد الكامل لها خلال مرحلة النشأة والتكوين على أرض فلسطين ؟ ولماذا أعترفت موسكو بإسرائيل بمجرد إعلانها كدولة ؟ ولماذا سهلت تدفق شحنات الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا إلى فلسطين للدفاع عن دولة إسرائيل عقب الهدنة الأولى من حرب عام 1948 ؟

— بحلول عام 1947 وضع للقادة السوفييت أن يهود فلسطين هم القوة الوحيدة المعادية للقوات البريطانية فى فلسطين . وكان السوفيت قد نادوا خلال مؤتمر شعوب الشرق الذى عقد فى مدينة باكو بضرورة تحرير الشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار وأعربوا عن احتجاجهم على استحواد "بريطانيا العظمى" على الأنتداب فى فلسطين . ومعنى هذا أن مصلحة التخطيط السوفيتي القديم التقت فى هذه الفترة مع موقف

اليهود في فلسطين بالنسبة للعداء لبريطانيا . وعندما كانت بريطانيا على وشك الانسحاب من فلسطين .. ظهر أن تقسيم فلسطين – من وجهة النظر السياسية السوفيتية هو الأفضل . وذلك لمنع تنفيذ مشروع الوصاية على فلسطين بمعرفة الأمم المتحدة ، وهو المشروع الذى كان بلا شك سينفذ بواسطة القوات العسكرية للدول الغربية .

- وفى هذه الظروف وقف أندريه جروميكو فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 13 مايو 1947 .. وبدون أن يذكر كلمة الصهيونية . . أتخذ موقفا جديدا تماما للاتحاد السوفيتى .
 - أعلن تأييد الاتحاد السوفيتى لحق الشعب اليهودى فى تحقيق أهداف نضاله من أجل إنشاء دولة خاصة به فى فلسطين .. بدعوى أنه البلد " الذى لهم فيه – مثلما للعرب – جذور تاريخية .
 - وأثناء مناقشة مجلس الأمن مسألة قبول إسرائيل فى الأمم المتحدة فى 4 مارس 1949 قال " جاكوب ماليك " مندوب الاتحاد السوفيتى أنه يقترح قبول إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة " لأنها دولة محبة للسلام " وقال عن مشكلة اللاجئين العرب – التى كانت محتدمة آنذاك – " أن مسؤولية وضعهم المحزن تقع على عاتق هؤلاء الذين حرضوا على الحرب بين العرب واليهود " .
 - من هنا كان تأييد الاتحاد السوفيتى الكامل لإسرائيل فى دور تكوينها ونشأتها أملا فى استمرار معادتها لانجلترا بعد استقلالها .. إذ كانت بريطانيا منذ الثورة البلشفية عام 1917 تتزعم الدول الغربية فى مناهضتها لروسيا البلشفية .
- وسرعان ما سحب الاتحاد السوفيتى ذلك التأييد المطلق ليقبى به إلى الجانب الآخر – جانب العرب – عندما وضح له مدى الارتباط المصيرى بين إسرائيل والدول الغربية . وعندما تبين لسائلى أن إسرائيل ليست شيوعية على الإطلاق وغير مستعدة لأن تدور فى فلك الشيوعية السوفيتية . وهذا على عكس الدول العربية التى تتوافر فيها كل الظروف لتحقيق أهداف السوفييت بعد أن تركت الحرب العالمية الثانية فراغا سياسيا وعسكريا فى منطقة الشرق الأوسط .
- وهكذا بدأ الروس يلعبون بالورقة العربية استغلوا دعايتهم المضادة للاستعمار وخلقوا سماء الشرق الأوسط من النجم السوفيتى الأحمر لسنوات طويلة .. مما ظنوا معه أن الأمر يكفى لأبعاد أية شبهة استعمارية عنهم .
- وفى 25 مايو 1950 اشتركت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا فى إصدار ما يعرف ، بالتصريح الثلاثى . الذى يلزم الدول الثلاث بمعارضة استخدام القوة بين دول منطقة الشرق الأوسط وإلا تقدم لإسرائيل أو الدول العربية سوى الأسلحة اللازمة للدفاع المشروع عن النفس . وبذلك فرضت الدول الثلاث نوعا من الوصاية على المنطقة .

وأحدث هذا التصريح فى بعض الدول العربية آثارا مختلفة منها : نمو العداوة للغرب وبالتالى تقارب مع الاتحاد السوفيتى الذى كان الغرب يسعى جاهدا لأبعاده عن المنطقة وتزعمت مصر – بصفتها زعيمة الجامعة العربية – معارضة التصريح الثلاثى .

وقامت ثورة يوليو 1952 وأطاحت بالنظام القديم وشكلت حكومة جديدة . ومع ذلك وقفت موسكو متشككة من الثورة لأنه ربما تؤثر هذه الحكومة الجديدة سياسة المهادنة مع بريطانيا ووريثها الجديد – الولايات المتحدة الأمريكية – لضمان تحييد القوات البريطانية المرابطة فى قناة السويس وعدم تدخلها لصالح النظام الملكى السابق .

ولكن الموقف تغير تماما خلال نصف عام .. وكان السبب حلف بغداد الذى تم توقيعه فى 24 فبراير عام 1955 من العراق وباكستان وتركيا والذى كان يستهدف إى إقامة حزام دفاعى فى الشرق الأوسط يرتبط بالحزام الشمالى لأحكام النطاق الدفاعى حول الاتحاد السوفيتى .

أن تكوين حلف بغداد أوجد مجموعة من المصالح بين مصر والاتحاد السوفيتى وهو ما لم يكن موجودا من قبل . وفتح الطريق أمام الاتحاد السوفيتى فى دول الشرق الأوسط العربية . بدأ حلف بغداد – فى تقدير الاتحاد السوفيتى – أنتصارا رأسماليا معاديا يربط منظمة حلف شمال الأطنطى بمنظمة حلف جنوب شرقى آسيا فى تنظيم متكامل يرمى إلى أحكام قبضة الولايات المتحدة وإنجلترا على سلاسل الحصار المعادى حول حدود الاتحاد السوفيتى .

كانت موسكو غاضبة . و غضبها لم تعره الحكومات الغربية اهتماما .. ولكن تأثير حلف بغداد على العالم العربى كانت له نتائج تعذر التنبؤ بها بنفس الدرجة من الوضوح . ومن أهم هذه النتائج خروج مصر من نطاق المحلية المصرية إلى نطاق القومية العربية بأبعادها وصراعاتها : فقد أتخذ العرب من جمال عبد الناصر زعيما للقومية العربية المعادية للغرب .. لمعارضته الشديدة لسياسة الأحلاف .ز وأتهم العرب العراق الذى وقع على حلف بغداد بخيانة القضية العربية وبالبحث عن زعامة تنافس بها زعامة القاهرة .

ومنذ هذا التاريخ أصبح جمال عبد الناصر يشترك مع الاتحاد السوفيتى فى مجموعة من الأهداف منها الحيلولة دون اشتراك دول عربية أخرى فى حلف بغداد وذلك من أجل عزل العراق – كزعيمة مجموعة الدول العربية الموالية للغرب – ولتصفية ما تبقى من الوجود العسكرى الغربى فى العالم العربى .

وكما أعطى الغرب الدافع السياسى للتقارب بين القاهرة وموسكو أعطت الأحداث دافعا أقوى : ففى هذه الفترة من التاريخ وبالتحديد فى 28 فبراير 1955 حدث الاعتداء الإسرائيلى على غزة .. وكان هدفه الضغط المادى على مصر للانضمام إلى حلف بغداد الذى تم توقيعه فى 24 فبراير 1955 . ولعل الوثائق التاريخية فى المستقبل تكشف لنا عن علاقة وثيقة بين التاريخين إذ يتعذر القول الآن بأن العدوان الإسرائيلى على غزة بعد أربعة أيام من توقيع العراق على اتفاقية حلف بغداد كان مجرد مصادفة ولكن هذا الحادث

أتى بعكس نتائجه : فقد أتاح للاتحاد السوفيتى فرصة الانفتاح على العالم العربى من خلال تسليح مصر لمواجهة الموقف الذى قاده الغرب لاحكام الحصار حول الاتحاد السوفيتى .

ويمكن القول بأن الاتحاد السوفيتى كان يرى فى أمداد مصر بالسلاح هو عمل تجارى قد يؤدى إلى تقويض حلف بغداد كما قد يغرى بعض الدول العربية الأخرى على مناهضة هذا الحلف .. ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن الاتحاد السوفيتى قبل عام 1956 لم يكن يرى فى جمال عبد الناصر أحد دعاة الاشتراكية - قولاً أو تطبيقاً - لم يكن زعماء الكرملين يرون فيه حليفاً . ولكن السنة التى أعقبت إعلان جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية فى سبتمبر 1955 كانت سنة حاسمة فى تطور السياسة السوفيتية فى مصر :

أعلن جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية فى 27 سبتمبر عام 1955 .. وفى 28 أكتوبر حدث الاعتداء الإسرائيلى على الكوننلة .. وفى 2 نوفمبر من نفس العام حدث اعتداء إسرائيلى على الصبحة .. لم تترك إسرائيل هذه الفرصة تمر .. وصدى السخط ضد الصفقة المصرية التشيكية يملأ العالم الغربى .ز دون إجراء اختبارات القوى اللازمة لكشف مدى تأثير هذه الصفقة على ميزان القوى فى المنطقة ، ولأضعاف الشعور القومى العربى .

ومرة أخرى فتح هذان الاعتداءان الإسرائيليان أبوابا عريضة أمام الاتحاد السوفيتى للعمل فى منطقة الشرق الأوسط .. فى مجالات التعاون الاقتصادى والثقافى والدبلوماسى بين مصر والاتحاد السوفيتى بعد صيف عام 1955 : أترفت مصر بالصين الشعبية ، وتحرك الاتحاد السوفيتى بطريقة علنية فى الأمم المتحدة لتأييد الجانب العربى فى الصراع العربى الإسرائيلى .

وبعد ذلك تلاحقت الأحداث بسرعة هائلة على مسرح الشرق الأوسط :

- ردت الولايات المتحدة على التغييرات المتصاعدة للتعاون المصرى السوفيتى ، وعلى حملة جمال لتقويض أركان حلف بغداد بسحب عرضها لتمويل السد العالى .. ورد جمال عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس .. وكان الرد من الجهة الأخرى العدوان الثلاثى على مصر فى خريف عام 1956 .

ما هو موقف الاتحاد السوفيتى فى العدوان الثلاثى على مصر ؟

- تتلخص السياسة السوفيتية فى هذه الفترة فى تشجيع الرئيس جمال عبد الناصر وتأييد خطواته ، وفى تحذير البريطانيين والفرنسيين من استخدام القوة لفرض نفوذهم . ولكن السياسة السوفيتية فشلت فى اتخاذ أية مبادرة إيجابية لتجنب التدخل العسكرى الذى حدث فى أواخر أكتوبر 1956 .

- وأصدرت موسكو عقب العدوان على مصر 1956 إنذارا تضمن تهديدات غير محددة منها " احتمال " استخدام الصواريخ ضد بريطانيا وفرنسا ، ومما يثير الانتباه أن الإنذار السوفيتى صدر يوم 5 نوفمبر 1956 أى بعد أسبوع كامل من بدء العدوان على مصر وبعد أن وضع الاتحاد السوفيتى الموقف الأمريكى غير المؤيد للعدوان والموقف الدولى الذى شجب هذا العدوان بشدة .

- ولكن الاتحاد السوفيتى كسب من هذا الإنذار رصيد عاطفيا ضخما فى العالم العربى بفضل الدعاية المصرية له . ورغم أن هذا الإنذار لم يكن هو العامل الحاسم فى إجبار القوى المعتدية على تصفية الهجوم إلا أنه أحدث تقديرا معنويا فى العالم العربى وخاصة عندما تبنت مصر الدعاية التى تظهر أن هذا الإنذار السوفيتى هو الذى صفى الهجوم الثلاثى .
- وهنا بدأ دور جديد للاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط .